أحجار الحدود البابلية(كدورو)
أهميتها الحضارية والفنية

أ.م.د. هديب حيّاوي غزالة•

مقدمة:

لأحجار الحدود(كدورو) دور مهم وكبير في نواحي الحياة الاقتصادية والدينية اذ أنها اقترنت بملكية الأراضي الزراعية وهذه الأراضي كانت عماد الحياة الاقتصادية في بلاد الرافدين واحتوت العديد من أحجار الحدود علي معلومات مهمه تخص الأوضاع السياسية وبعض الجوانب الحضارية التي كانت سائدة في البلاد.

كما ان دراسة رموز الالهه واللعنات التي دونت علي أحجار الحدود تبين لنا جوانب من الحياة الدينية وساعدتنا علي دراسة الطرز الفنية التي نفذت بها رموز الالهه، أما عن أشكال أحجار الحدود فهي طويلة الشكل لا يزيد طولها عن المتر الواحد تركز في الأرض لتعيين الحدود بين مقاطعة وأخري ويودع بعضها في المعابد كوثيقة بحقوق مالك الأرض الذي يدون فيه اسمه وسم واهب الأرض له[1] وقد ظهر استعمالها علي نطاق ضيق في عصر السلالات(2800-2370ق.م) ولكن لم يستمر في العهود التالية حتي شاع استخدامها بشكل واسع في العهد البابلي الوسيط(1595-1157ق.م) وهو العهد الذي شهد حكم[2]الكاشيين[3]للبلاد وأصبحت تلك الأحجار ميزة من مميزات ذلك العهد.

أما عن اسمها كدورو(Kudrru) فهو مفرد اكدية تعني(الحد) او(صخرة الحدود) وقد تعني مؤشر الحدود[4]ويقابلها في السومرية بالمعني نفسه(NI.Du)[5].

أنواعها:

هناك قسمين رئيسيين لاحجار الحدود وهي:

1. أحجار حدود ملكية: وهي العطاءات التي يمنحها الملك إلى الأفراد أي أنها عطاءات صادرة عن الملك إلى كبار الموظفين وقادة الجيش والكهنة واللاجئين.

• رئيس قسم الآثار ـ جامعة بابل ـ العراق.

[1] بصمجي، فرج، كنوز المتحف العراقي، بغداد،1972، صـ243

[2] باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، بغداد،1973، صـ455.

[3] من الأقوام التي جاءت من جبال زاجروس وتمركزت في منطقة الفرات الأوسط(عنه) ثم تمكنت من السيطرة علي بلاد بابل مؤسسة سلالة فيها عرفت باسم سلالة بابل الثالثة، انظر:
باقر، طه، المصدر السابق، صـ446 وما بعدها.

[4] CAD,A,P.165.

[5] CAD,A,1-2,P.495.

أحجار الحدود العامة: وهذا النوع يكون علي شكل عقود عادية بين أفراد المجتمع دون تدخل الملك فيها فيقوم من خلالها الأفراد بتوثيق العقود المبرمة بينهم بتدوينها علي شكل حجرة حدود[6].

وكانت مادة أحجار الحدود في اغلب الأحيان هي صخور الديورايت السوداء النارية نظراً لصلابتها ومقاومتها للعوامل المناخية المحيطة بها، فضلاً عن استخدام أنواع أخري من الأحجار مثل الحلان، والالباستر، كما وعثر علي نماذج أخري من أحجار الحدود منفذة علي الطين المفخور[7].

وصف مواضيع الأحجار:

يمكن القول ان الشكل العام لاحجار الحدود هي عبارة عن مسلات صغيرة غير منتظمة الشكل وكانت تدون عليها أوصاف وحدود الأراضي التي كان يعطيها الملك إلى الأفراد والجماعات وتودع عادةً في المدينة[8]وقد خصص القسم الأعلى المنحني منها غالباً لرمز الالهه[9]فيشاهد في اعلي الوجه منحوتات بالنحت البارز تمثل قرص الشمس(رمز الإله شمش) والهلال(رمزالاله سن) والكواكب الذي يرمز إلى الالهه عشتار مع صور الحيوانات العائدة إلى مثل هذه الالهه وغيرها من رموز الالهه وكل ذلك للتمسك بنصوص الوثيقة[10]، كما تضم هذه الأحجار نصوصاً من كتابة مسمارية تشير إلى الهبة او نص البراءة التي تخص المالك فكل من يغير نص البراءة يعتبر معتدياً علي الالهه المنحوتة علي الحجرة[11]حيث ذكرت في ختام النص لعنات الالهه المختلفة علي من يكسر الحجر او يبدل نصوصه[12].

لقد تطور النحت البارز علي الأحجار في نهاية العصر البابلي الوسيط وهو القرن الثاني عشر قبل الميلاد ففي هذا العصر احتوت الحجرة علي المواضيع المختلفة سواء القديمة منها او المتأخرة وتعتبر المرحلة من اكثر المراحل تطوراً في فن النحت الكاشي البارز[13]والتي تعطينا فكرة عن ذهنية الكاشيين وعن مفاهيمهم للعالم الآخر، ولو ان

---

[6] العبيدي، خالد حيدر، احجار الحدود البابلية(كدورو)، رسالة ماجستير غير منشورة، الموصل،2001، صـ28وما بعدها.

[7] المصدر نفسه، صـ121ومابعدها.

[8] سليمان، عامر وأحمد مالك الفتيان، محاضرات في التاريخ القديم، الموصل،1978، صـ139.

[9] مظلوم، طارق عبد الوهاب،"النحت من عصر فجر السلالات حتى العصر البابلي الحديث"، حضارة العراق، ج4، بغداد، 1985، صـ65.

[10] باقر، طه، المصدر السابق، صـ455.

[11] مظلوم، طارق عبد الوهاب، المصدر السابق، صـ65.

[12] باقر، طه، المصدر السابق، صـ66.

[13] مظلوم، طارق عبد الوهاب، المصدر السابق، صـ66.

بعض المواضيع الفنية المستعملة في النحت لهذه الفترة كانت موجودة من قبل، فعلي أحد أحجار الحدود الخاص بالملك(ميليشباك) (1188-1174ق.م) والتي يظهر فيه وهو يقدم ابنته إلى الالهه عشتار فقد سبق ان استعمل هذا الموضوع باستمرار في نقوش الأختام في عصر سلالة أور الثالثة(2112-2004ق.م) اذ اخذ الملك دور ومكانة اله وسيط وهذا لا يعني ان الدين قد قلت مكانته فعلي عكس ذلك نجد في أحجار حدود معينة غطيت بصورة كلية بالرموز الالهيه وان الصفة الدينية هي السائدة[14]، كذلك نشاهد ان بعض العناصر الفنية التي ظهرت علي أحجار الحدود كانت معروفة من قبل مثل الأضلاع الثمانية المدببة التي نحتت داخل قرص والتي ترمز إلى الالهه عشتار اذ ان مثل هذا الشكل(القرص النجمي) قد عرف منذ عصر سلالة أور الثالثة وظهرت علي المنحوتات مثل مسلة أور ـ نمو(2112-2095ق.م)[15].

أما من ناحية التنفيذ الفني للأشكال فنجد في بعض منها ان النحات قد قسم سطح حجرة الحدود إلى حقول احدهما فوق الآخر وهذا الطراز في النحت كان موجوداً عند السومريين من قبل[16] ويكون الفنان الكشي قد تأثر ببعض المنحوتات السومرية التي كانت قد نفذت بهذه الطريقة الفنية.

ولا بد لنا من القول ان الكشيين قد ساووا بين الهتهم الخاصة وبين الالهه التي كانت معروفة في العراق القديم فجعلوا الإله(شيباك) مساوياً للإلهه القومي لبلاد بابل(مردوخ) والإله(خاربي) مطابقاً لانليل اله الهواء . . . الخ من الالهه[17].

وظهرت علي أحجار الحدود بالإضافة إلى أسماء ورموز الالهه التقليدية المعروفة في مدن العراق القديم الهه كشية خاصة بهم ذات رموز معينة ومنها الالهه(شوقمونة)[18]وقرينتة(شوميليه) مما لم يسبق ان ظهرت من قبل في الأعمال الفنية التي جاءتنا من العهود التاريخية التي سبقت حكم الكاشيين لبلاد الرافدين.

ويمكننا ربط ما جاء من رموز الالهه التي عُبدت في بلاد بابل اذ ان تلك الأحجار كانت تحتوي علي تصويراً واقعياً وخيالياً ورمزياً في وقت واحد لمجمع الالهه في الشرق

---

[14] بارو، اندريه، سومر فنونها وحضارتها، ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد،1979، صـ375.

[15] Frank fort,H.,The Art and Architecture of the Ancient Orient,London,1977,P.102.

[16] بارو، اندريه، المصدر السابق، صـ376.

[17] الاحمد، سامي سعيد،"العصر البابلي القديم"، العراق في التاريخ، بغداد، 1983، صـ104.

[18] اله كاشي اختص بتلقيح الماشية. انظر:
بارو، اندرية، المصدر السابق، معجم الأعلام.

القديم[19]ولا نجد في أي عمل آخر من منحوتات الفن الشرقي القديم خلال تاريخه الطويل ان تصوير الرموز الإلهية قد استعمل بمثل ذلك التعبير والشكل المنتظم كما نراه علي أحجار الحدود، كما كانت تكتب إزاء تلك الرموز الالهيه في الغالب تعاريف لها[20].

لقد كان لبعض أنواع أحجار الحدود أهمية كبيرة في تحديد تاريخ فكرة بعض المواضيع الفنية التي نحتت عليها تفوق صفاتها الجمالية ويتضح لنا ذلك من كودورو غير كامل عثر عليه في العاصمة العيلامية (سوسه) ومحفوظ الآن في متحف اللوفر اذ نشاهد في الإفريز الثاني له خمس رجال يرتدون تنورات قصيرة وامرأة ترتدي ثوباً طويلاً ومخصلاً وجميعهم يرقصون ويعزفون سوية علي بعض الآلات الموسيقية ويسيرون في مسيرة دينية ومعهم حيوانات وحشية مثل الأسود والثيران والماعز البري وهي تسير معهما وكأنها مسحورة من وقع الأصوات التي تصدح بها الآلات الموسيقية، ومثل هذا الموضوع الفني لم يشاهد إلا مرة واحدة فيما بعد في فنون الشرق الأدنى القديم وذلك في عملين رائعين من أعمال المنحوتات الجدارية الآشورية للملك اشوربانيبال(668-626ق.م).

ويمكن ان نستشف من هذا المشهد الفني ان الفنان الكشي قد عرف فكرة الطرب بوساطة الموسيقي لترويض الحيوانات الوحشية وجعلها تسير بإرادته وهذا بلا شك يوضح لنا فكرة انتصار الخير بصيغة سلمية وحضارية علي قوى البشر، وكذلك فان ذلك يدل علي ان الفنان الكاشي قد طرق مثل هذه المواضيع الفنية ذات الطابع الأسطوري الملحمي قبل مشاهدتها علي النحت الآشوري[21].

ان أحجار الحدود تكمن أهميتها الحقيقية في النص المطول من الكتابة المسمارية التي تغطي مساحة كبيرة من سطحها اكثر من اعتمادها علي المنحوتات الدينية الرمزية او الأسطورية والتي نفذت بطريقة فنية اذ أوضحت تلك النصوص الكتابية تفاصيل الهبات التي كان يعطيها الملوك وكبار الموظفين إلى بعض من أفراد المجتمع.

ويمكن القول ان هذه الأحجار تشير لنا إلى وجود نظام في العهد الكاشي[22]، حيث ظهر النظام القبلي المرتبط بحق الأرض والذي ادخل لأول مرة[23]، إذ ان تلك الأراضي التي تمنح للأشخاص تكون غير خاضعة لضرائب لأنها بمثابة هدية تمنح إلي بعض الأفراد ولا تكون حق يمكن التمتع به من قبلهم إلا بعد ان يتم تحديدها بأحجار الحدود التي

---

[19] بارو، اندريه، المصدر السابق، صـ377.

[20] مورتكارت، انطون، الفن في العراق القديم، ترجمة عيسي سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد، 1975، صـ305.

[21] مورتكارت، انطوان، المصدر السابق، صـ307.

[22] اوبنهايم، ليو، بلاد ما بين النهرين، ترجمة سعدي فيضي عبد الرازق، بغداد، 1981، صـ198.

[23] الاحمد، سامي سعيد، المصدر السابق، ص 105.

توضع في المعابد الخاصة بالمدينة[24] وهذا في الحقيقة شئ يجلب الانتباه إذ ان وضع الأحجار في هذه الأماكن المقدسة يدلل على مدى شرعيتها وحفظ حقوق الأفراد، ويوضح لنا بأن لتلك الأحجار التي تحدد بها الحدود وثائق ثانية او نسخ أخرى تحفظ إضافة إلي الأحجار التي توضع على حدود الأراضي وبالتالي فإذا أصاب تلك الأحجار أي تزييف أو تخريب من قبل أي شخص فيمكن الرجوع إلي نسخ الأحجار المحفوظة في المعابد لمعرفة النص الصحيح والأصلي، ويمكن القول ان هذا يشبه ما معمول به في وقتنا الحاضر في دوائر التسجيل العقاري إذ هناك نسخ لسندات الأملاك تحفظ في تلك الدوائر إضافة إلي النسخة الخاصة بالمالك الشرعي والتي تحفظ عنده.

ولابد لنا من الإشارة هنا إلي ان عدم استمرار وجود أحجار الحدود في ما بعد العصر الكاشي عند الآشوريين يعود إلي ان فكرة الآشوريين تجاه الملكية يناقض نظرة الكاشيين لها إذ ان الكاشيون كانوا ينفرون من أي تعبير عن صفتهم العسكرية والحربية بل وحتى الصفة البطولية الأسطورية على عكس الدولة الآشورية التي حولت نفسها تدريجيا إلي عقدة ايديولوجية سياسية وعسكرية، وقد أدى هذا الفرق إلي عدم وجود أي من السجلات الحربية خلال فترة حكم الكشيين، لذلك كانت المواضيع ذات الطبيعة الدينية الأسطورية الخالصة ممثلة على منحوتات هذا العصر ومنها أحجار الحدود التي صورت عليها المواضيع تصويراً فنياً دقيقاً له علاقة بالمعتقدات الدينية والأساطير،[25] وثمة ملاحظة فنية يمكن مشاهدتها في القمم الخاصة بأحجار الحدود، ففي أعلي تلك القمم نقشت رموز الآلهة عشتار وسن وشمش، ويمكن القول ان ظهورها بشكل مترابط معاً قد تبدو مسألة فيها فكرة أو ايحاء إلي بعض الظواهر الفلكية التي عرفتها الأقوام القديمة، فبسبب مشاهدة الكواكب منذ الأزمنة السحيقة في القدم كانت تلك الأقوام تعرف مداراتها وارجعوا تأثير تلك المدارات على البشر مستطلعين بذلك مستقبل الناس إذ ان المراقبين لحركة الكواكب يستنتجون الطالع من إشراقة هذه الكواكب أو بمغيبها أو لونها وهي تدلل أيضاً على العواصف والأمطار وموجات الحر الشديدة، كما ان ظهور المذنبات وكسوف الشمس وخسوف القمر وزلازل الأرض وأي تغيير يحدث في الجو والمناخ هو كذلك علامات سعد او نحس للبلاد والشعوب وللملوك والافراد، ولكل كوكب سيار مسار خاص به وتختلف فيما بينها بفضل سرعة ومدة دورانها، وتؤثر هذه بدورانها علي ولادة الناس، كما تقرب الطالع الجيد والردئ، ويقرأ فيها الراصدون المستقبل لذا تمكنوا ان يتنبئوا بأمور كثيرة تخص الملوك[26]، ولعل أهم كوكبين رصدهما الإنسان هما القمر والشمس وعزا بعض الظواهر الطبيعية من خلال مشاهدته لها، فاذا أحاطت بالقمر هالة

---

[24] براندت، ايفلين كلينغل، رحلة إلي بابل القديمة، ترجمة د. زهدي الداوودي، دمشق، 1984، ص75.

[25] مورتكارت، انطوان، المصدر السابق، ص 304.

[26] روثن، مارغريت، علوم البابليين، ترجمة يوسف حبي، بغداد، 1980، صـ97.

معتمة في اليوم الأول يكون الشهر ماطراً ومكتظاً بالغيوم وان أحاطت بالشمس هالة وكانت فتحتها متجهه نحو الجنوب فان ريحاً ستهب من الجنوب والي غير ذلك من ظواهر جوية[27].

ومما تقدم نود القول ان الإنسان عرف الظواهر الطبيعية معرفة جيدة من خلال مراقبة لحركة الكواكب ولذلك كانت ظاهرة الخسوف والكسوف من أهم واقدم الظواهر الطبيعية التي عرفها، ولعل القرص الدائري المنحوت في اعلي أحجار الحدود والذي قلنا انه يمثل الالهه عشتار ربما كان يمثل كوكب الأرض ويدعم رأينا هذا انه نحت ما بين الشمس والقمر أحياناً يكون القمر ما بين الشمس والأرض وربما هذا يمثل ظاهرتي الخسوف والكسوف، كما هو معروف هو ظاهرة اختفاء القمر كلياً او جزئياً لفترة من الزمن وهذا يحدث نتيجة وقوع ظل الأرض علي القمر ومنع ضوء الشمس من الوصول إليه بالنسبة لمنطقة من مناطق الكرة الأرضية وهي فيها الخسوف، اما ظاهرة كسوف الشمس فهي مثل ظاهرة القمر قد تكون اختفاء كل قرص الشمس ويسمي (كسوف جزئي) وتكون هذه الظاهرة عند توسط القمر بين الأرض والشمس وسقوط ظلة علي الأرض، ولذلك فان تلك الرموز المنحوتة في قمة أحجار الحدود قد يكون لها علاقة بظاهرتي الكسوف والخسوف خصوصاً ان مواقع تلك الأشكال الثلاثة تتبدل فيما بينها أي ان مواقعها ليست ثابتة في جميع قمم أحجار الحدود المكتشفة لحد الان.

ومن خلال ملاحظة القرص الذي اعتبرناه الأرض نلاحظ ان هناك في داخله خطوط متعرجة او متموجة وتكون بين المثلثات التي تكون النجمة التي بداخل القرص وهذه التموجات ربما كانت تمثل المياه التي علي سطح الأرض وهذا ما يدعم هذه الفكرة.

ولكن يجب عدم المغالاة بهذا الرأي اذ ان الفلكيون القدامي لم يكونوا علي يقين بكروية الأرض[28]ولذلك فان تصويرها بشكل قرصي او كروي أمر يجب ان يخضع للكثير من الدراسة والبحث والتقصي ولكن يبقي هذا الرأي مجرد فكرة تحتاج إلى الكثير من الدلائل والبراهين والتي ربما يتم التوصل اليها من خلال دراسة المنحوتات الخاصة بالعهد الكاشي من قبل المختصين في دراسة الفن القديم.

ومن خلال ما تقدم يمكن القول ان الكاشيين بفنهم الخاص بنقش ونحت أحجار الحدود قد أوجدوا مدرسة خاصة في فن النحت الناتيء وفي ترجمة الأفكار والمعتقدات الدينية من

[27] روثن، مارغريت، المصدر السابق، صـ100.

[28] روثن، مارغيت، المصدر السابق، صـ98.

خلال الرموز والرسوم التي استخدموها للتعبير عن الالهه، وكذلك فقد كانت الأحجار الحدود ذات أفكار عالية القيمة في تقاليدها وأغراضها العامة ونصوصها الكتابية المدونة عليها والتي فتحت الطريق لمعرفة الكثير من العلاقات الاقتصادية التي كانت سائدة في تلك الفترة والي الكثير من المعتقدات والأفكار الدينية التي عرفتها تلك الأقوام، تعد أحجار الحدود وثائق لجوانب مختلفة من الحياة.

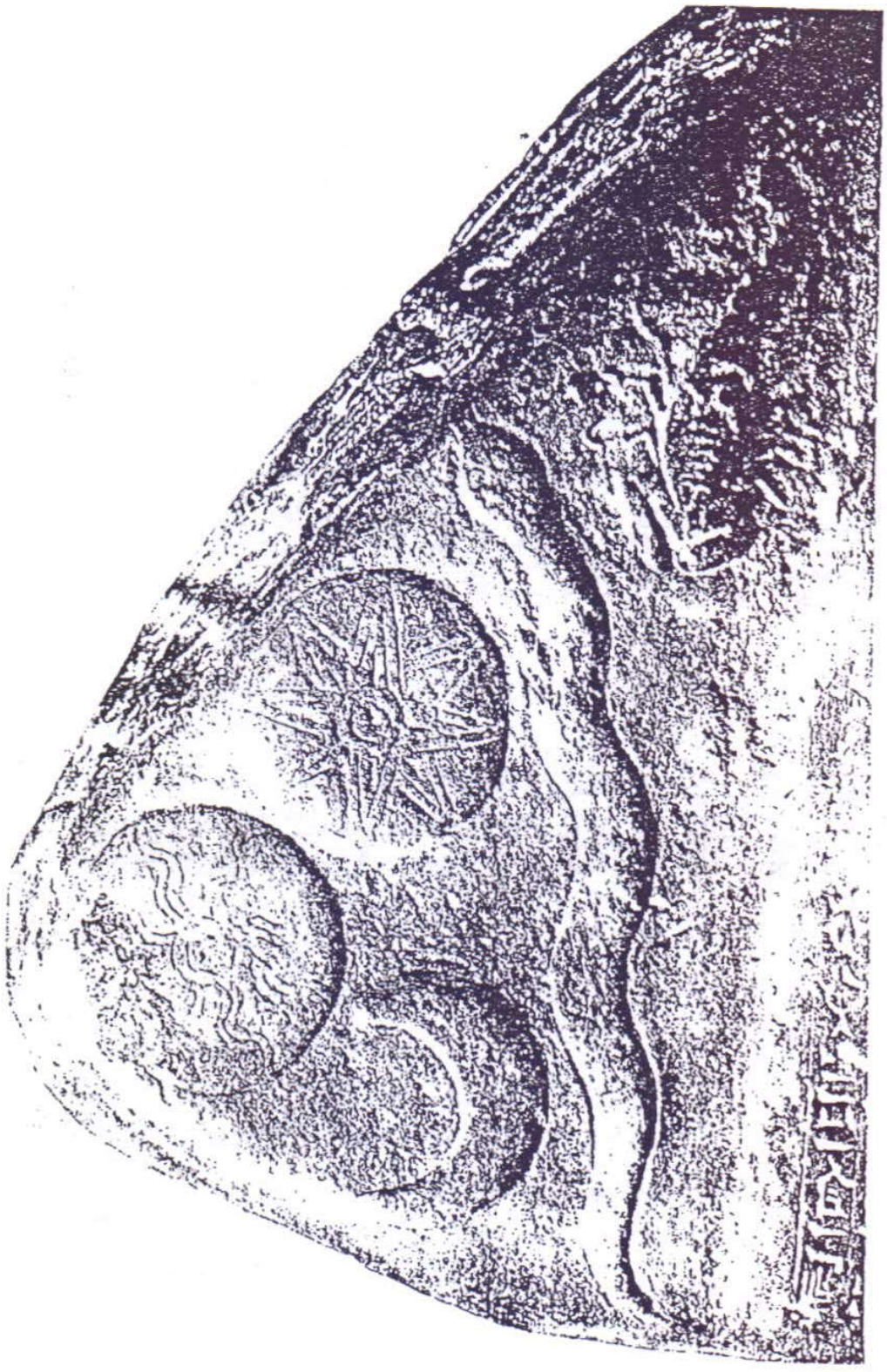

Kudurru of the time of meli – shipak
Face a. no. 90827

Kudurru of the time of marduk-nadin-akhe

Kudurru of the time of marduk-nadin-akhe